



مَجَلَّةُ الْجَامِعَةِ الْقَاسِمِيَّةِ لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَدَابِهَا

مَجَلَّةٌ عَامِّيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٌ



المجلد: 5، العدد: 1

ذو الحجة 1447هـ / يونيو 2026م

التقييم الدولي للمعياري للدوريات: 5542-2788

الشبكة المفهومية لمقاربة "التأويل البلاغي للرواية": قراءة تحليلية في
مقدمة كتاب حسن الطويل

THE CONCEPTUAL NETWORK OF THE APPROACH
"RHETORICAL INTERPRETATION OF THE NOVEL": AN
ANALYTICAL READING OF THE INTRODUCTION TO
HASSAN AL-TAWIL'S BOOK⁽¹⁾

عبد النور الرايس

الأكاديمية الجهوية لمهن التربية والتكوين، وجدة، المغرب

Abdelnour Arraiss

*Regional Academy of Education and Training Professions,
Oujda, Morocco*

⁽¹⁾ Article received: March 2026; article accepted: April 2026

ملخص

تسعى هذه المراجعة إلى تفكيك وإعادة بناء الشبكة المفاهيمية التي تؤسس لمقاربة "التأويل البلاغي للرواية" كما صاغها حسن الطويل في مقدمة كتابه "التأويل البلاغي للرواية: إشكالات وتطبيقات". وتنطلق المراجعة من فرضية مركزية مفادها أن المقدمة جهازٌ مفاهيمي مؤسسٌ يضبط مسارات القراءة، ويحدد شروط إمكان التأويل. كما تقوم المراجعة بهندسة عكسية للبنية المنطقية للمقدمة، منتزعة مفاهيمها الأساسية لتنظيمها في نسق من الثنائيات المنتجة، وتُظهر المراجعة كيف يحول المؤلف التعارضات المنهجية إلى طاقة معرفية تعيد صياغة العلاقة المتوترة تاريخياً بين البلاغة والرواية، لتنقل البلاغة من مجرد أداة للتحليل الوصفي المباشر إلى ممارسة تأويلية خلاقة للمعنى تعتمد على تفاعل القارئ. كما تبرز الورقة كيف يتصدى الجهاز المفاهيمي للطويل لخطر الفوضى التأويلية، من خلال ربط الممارسة التأويلية بضوابط البلاغة لتسوية القراءة. وتخلص المراجعة إلى أن هذه المقاربة تفتح فضاءً جديداً للبلاغة داخل التخيل الروائي، مقدمة بذلك خارطة طريق واضحة للقارئ المتخصص، كما تحتتم الورقة بوضع أرضية للباحثين عبر توصيات تدعو لفحص مدى صمود هذا النسق النظري أمام المنجز التطبيقي في فصول الكتاب اللاحقة.

Abstract

This review seeks to deconstruct and reconstruct the conceptual framework that underpins the approach to "rhetorical interpretation of the novel" as formulated by Hassan Attaouil in the introduction to his book "Rhetorical Interpretation of the Novel: Issues and Applications." The review proceeds from a central premise: that the introduction is a foundational conceptual apparatus that governs the paths of reading and defines the conditions of interpretive possibility. The review also performs a reverse engineering of the logical structure of the introduction, extracting its core concepts to organize them into a system of productive binaries. The review demonstrates how the

author transforms methodological contradictions into cognitive energy that reframes the historically tense relationship between rhetoric and the novel, shifting rhetoric from a mere tool for direct descriptive analysis to a creative interpretive practice of meaning that relies on the interaction of the reader. The paper also highlights how Attaouil's conceptual apparatus addresses the risk of interpretive chaos by linking interpretive practice to the constraints of rhetoric to justify the reading. The review concludes that this approach opens up a new space for rhetoric within fictional narrative, thereby providing a clear roadmap for the specialized reader. The paper concludes by laying the groundwork for researchers through recommendations calling for an examination of the robustness of this theoretical framework in light of the applied work in the book's subsequent chapters.

الكلمات المفتاحية: التأويل البلاغي، الدلالة التأثيرية، الشبكة المفهومية، الحجاج المضمّر

Keywords: Rhetorical Interpretation, Affective Significance, Conceptual Network, Implicit Argumentation

تقديم

تنطلق هذه المراجعة من فرضية مُفادها أن المقدمات النظرية يمكن أن تؤدي وظيفة مستقلة، على أساس أنها أجهزة مفهومية مؤسّسة لأفق تأويلي، وضابطة لمسارات القراءة الممكنة. فالمقدمة، في هذا المنظور، تعيد ترتيب العلاقة بين القارئ والنص، وتحدد منطق الاشتغال التأويلي قبل الدخول في التحليل التطبيقي.

وانطلاقاً من هذا التصور، أسعى لتقديم قراءة تحليلية لمقدمة كتاب حسن الطويل: "التأويل البلاغي للرواية: إشكالات وتطبيقات"، والذي صدر عن دار كنوز المعرفة سنة 2025 في 130 صفحة (ISBN: 978-9923-49-3847)، وذلك عن طريق تفكيك الشبكة المفهومية للمقدمة بغرض الإجابة عن الإشكالية التالية: ما هي الأسس المنهجية والمفهومية التي تقوم عليها مقارنة "التأويل البلاغي للرواية" كما صاغها حسن الطويل في مقدمة كتابه؟ وكيف تنتظم هذه الأسس في شبكة من العلاقات المنطقية؟

تعد هذه المقدمة قيد الدراسة مثلاً للطراز النصي الذي يطرح الأسئلة بدل تقديم إجابات نهائية، فاتحة بذلك آفاقاً ومسالك جديدة للتفكير. والمؤلف يُشَيِّدُ من خلالها إطاراً نظرياً ومنهجياً لمقاربة نقدية طموحة من خلال إعادة رسم العلاقة المتوترة تاريخياً بين العلم المعياري للإقناع (البلاغة) والرواية بوصفها جنساً سردياً مراوفاً ومتعدد الأصوات. هذا التوتر يتجذر تاريخياً إلى اليونان؛ لأن الحكيم عموماً ومنذ تلك الفترة لم يكن خارج الإقناع.⁽¹⁾

والإشكالية المركزية التي تبرزها المقدمة هي عن طبيعة البلاغة التي تليق بالرواية، وكيف يمكن لهذه البلاغة أن تتجاوز حدود التحليل الوصفي لآليات التأثير إلى ممارسة تأويلية خالقة للمعنى؟

(1) انظر: الغرافي، مصطفى: بلاغة المثال: السرد المثلي بين التخيل والحجاج، أشغال الندوة العلمية: البلاغي بين الإنتاج والتلقي: جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس - كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراس، فاس، 2019م، 83.

يبدأ المؤلف بتعريف تعاقدية للبلاغة بأنها "نظرية في تحليل الخطاب التأثيري"؛⁽¹⁾ أي أن البلاغة هي تناول دراسي للصفة والكيفية التي يُحدث بها خطاباً ما أثراً في المتلقي، سواء كان هذا الخطاب أدبياً جمالياً أو حجاجياً إقناعياً، وهذا ما يقود إلى مفهوم أساسي آخر يعتمده المؤلف في بناء مقارنته، وهو مفهوم "الدلالة التأثيرية" الذي هو موضوع تساؤل مركزي في المقدمة، أعني به: هل "وصف الدلالة التأثيرية في الخطاب الحجاجي يماثل وصف الدلالة التأثيرية في الخطاب الأدبي؟"⁽²⁾.

بالإضافة إلى ذلك، تُبرزُ المقدمة ثنائياً مفهومية هي "التحليل البلاغي" في مقابل "التأويل البلاغي"، وهما مفهومان منهجيان متميزان، وهذا التمايز هو القلب النابض لمقاربة المؤلف.

بهذا يتضح جلياً أن الدخول الآمن للكتاب يتوقف على شرط أساسي، هو الفهم السليم للمنطق الداخلي للمقدمة. وسأعمل، عن طريق الاستنباط البنيوي، على استخراج الشبكة المفهومية التي تشكل الهيكل المنطقي لهذه المقدمة، وتنظيمها على شكل ثنائيات مفهومية متقابلة، وهذا التقابل يوَلِّدُ التوتر بينها، لكن مقاربة المؤلف تهدف إلى تحويل الطاقة الحاصلة بين هذه التوترات إلى أدوات إنتاج معرفي، مما يجعل من هذه الثنائيات ثنائياتٍ منتجةً تتباعد عن مجرد كونها تقابلات جامدة. وعليه، فإنني أسعى في هذه الورقة إلى الابتعاد قدر الإمكان عن مجرد الوصف العام للمقدمة، مع احترام منطقتها الداخلي وعدم إسقاط مفاهيم خارجية قسرية عليها؛ لأن الوقوف على هذه الثنائيات / الأقطاب المتقابلة بهذا الشكل الذي تقدمه هذه الورقة، من خلال هندسة عكسية للبنية المنطقية للمقدمة، يُسهّم في إيضاح المنطق الداخلي للمقاربة، فتكون حينئذ خارطة طريق تسمح للقارئ بأن يتوغل في الكتاب بسلاسة.

وتعتمد الورقة في استخلاص هذه الثنائيات على تحليل المتقابلات الصريحة والضمنية في نص المقدمة، ولا يُنظر إلى هذا التقابل كتعارض جامد، بل كتوتر منتج لطاقة المعرفية

(1) الطويل، حسن: التأويل البلاغي للرواية إشكالات وتطبيقات، ط1: دار كنوز المعرفة، عمان، 2025م، 7.

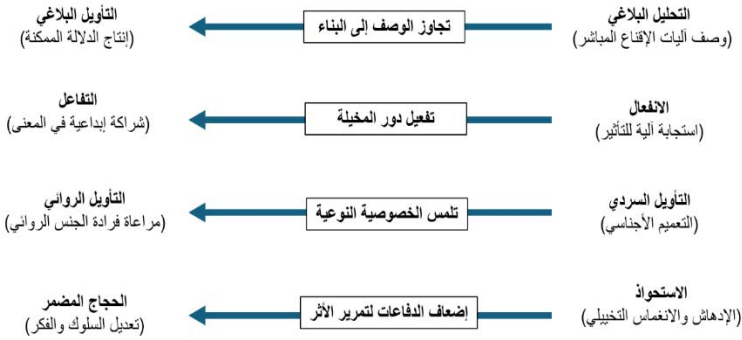
(2) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 8.

للمقارنة، والتي تنبع تحديدا من محاولتها التوفيق بين هذين القطبين أو استثمار المسافة بينهما. فالثنائيات هنا ليست أدوات للتصنيف فحسب، بل هي المحرك الديناميكي الذي ينتج معرفة نقدية جديدة.

ويبين الشكل (1) أدناه تنظيم هذه الشبكة المفهومية في صورة ثنائيات منتجة، وهي تنتظم وفق ما يلي:

- ثنائية منهجية: التحليل البلاغي/التأويل البلاغي.
- ثنائية قرائية: الانفعال/التفاعل.
- ثنائية نوعية: التأويل السردي/التأويل الروائي.
- ثنائية تأثيرية: الاستحواذ/الحجاج المضمر.

الشكل (1): نمذجة الشبكة المفهومية لمقدمة كتاب "المقاربة البلاغية الروائية" (1).



(1) المصدر: من إعداد الباحث (مقدم المراجعة).

الثنائية المؤسسة: التحليل البلاغي في مواجهة التأويل البلاغي

ترى جماعة مو (11) في كتاب "البلاغة العامة" أن البلاغة في مرحلتها الأولى تتمثل في خلق انزياحات وبهذا فهي تخص المؤلف، أما المرحلة الثانية فتخص القارئ من خلال تقليص هذه الانزياحات.⁽¹⁾ وهي الفكرة التي عبّر عنها عبد القادر المهيري في المراجعة التي قدمها للكتاب بعد عام من صدوره بأن "التعبير البلاغي يمر بمرحلتين اثنتين: مرحلة يخرج فيها المتكلم عن الحد، ثم مرحلة يسعى فيها السامع إلى العودة إلى هذا الحد وإرجاع الأمور إلى مجاريها".⁽²⁾

وهو ما يمكن التعبير عنه، بلفظ عام، بكونه انتقالا من مرحلة يخرج فيها المعنى من حيز الإمكان إلى حيز التحقق، إلى مرحلة ثانية يُعاد فيها إنتاج هذا المعنى. ومنطقة الإنتاج هذه هي التي يشتغل فيها وعليها كل من التحليل البلاغي والتأويل البلاغي، والتميز الدقيق بين هذين المفهومين المتجاورين والمختلفين جوهريا هو البوصلة التي توجه دفة الكتاب.⁽³⁾

, 1982⁽¹⁾ Groupe μ : Rhétorique générale, 2e éd.: Éditions du Seuil, Paris, 39.

(2) المهيري، عبد القادر: البلاغة العامة، حوليات الجامعة التونسية، 8، 1971م، 216.

(3) تفاعل الناقد محمد مشبال مع هذا التقسيم انطلاقا من حرصه المعرفي الصارم على هوية البلاغة وحدودها المنهجية، فرأى فيه "تمييزا تفضيليا غير علمي". انظر: مشبال، محمد: عن حدود البلاغة مرة أخرى: حوار مع كتاب التأويل البلاغي للرواية: إشكالات وتطبيقات (1)، مجلة الثقافة الجديدة، 427، مارس 2026م، 120.

وإذا كان هذا الحذر المنهجي مشروعاً ومبرراً في سياق الدفاع عن وحدة البلاغة، فإن تتبع الدقيق للمنطق الداخلي لمقاربة الطويل يبين أن مسعاه لم يكن متجهاً نحو المفاضلة التقييمية، بقدر ما كان يستهدف التمييز الإجرائي والوظيفي؛ لأن المؤلف لم ينتقص من قدر التحليل، وإنما خصه بالخطاب الحجاجي المباشر الذي يتطلب الإبانة، في حين خص التأويل بالخطاب التخيلي الذي يتطلب استثمار الميثاق التخيلي. وبذلك، تبدو هذه الثنائية استجابة لضرورة منهجية تفرضها خصوصية كل خطاب.

يُعرِّفُ المؤلف "التحليل البلاغي" بأنه يشتغل "ضمن منطقة الحجاج المباشر حيث تكون الدلالة التأثيرية واضحة وسهلة المنال"،⁽¹⁾ ومجاله هو الخطاب الذي يستند إلى "المشترك القيمي والفكري والعاطفي"،⁽²⁾ ويعمل في "سياق نفعي يتطلب الإبانة".⁽³⁾ وظيفة الباحث البلاغي هنا هي "وصف هذه الدلالة وتحليلها بأدوات البلاغة الحجاجية"؛⁽⁴⁾ أي: "إعادة بناء آليات ووسائل الخطاب".⁽⁵⁾ فهو بالتالي عمل وصفي علمي لا يتطلب "تأويلا عميقا بحثًا عن المعنى المتواري".⁽⁶⁾ في مقابل "التحليل البلاغي"، يشتغل "التأويل البلاغي" ضمن "منطقة الأدب"،⁽⁷⁾ وهو المجال الذي لا تكون فيه "الدلالة التأثيرية واضحة ولا اتفافية"،⁽⁸⁾ لأن النص الأدبي لا يشرح أفكاره، وبالتالي لا وجود لدلالة سابقة وجاهزة للاكتشاف، مما يضع القارئ في تجربة بحث دائم عن معنى⁽⁹⁾ "مرهون بنشاط القارئ، ومخيلته، وقدرته على استثمار الميثاق التخيلي" في إنتاج الدلالة الممكنة التي لا يمكن أن تكون نهائية أو محسومة".⁽¹⁰⁾ فهذه الدلالة، إذن، هي نتيجة للتجاوب الحاصل بين النص وقارئه، بحيث لا يعود النص معبراً عن دلالة واحدة أو معنى أحادي متصور من عقل فردي، بل كل قراءة وكل دلالة لا تعدو

(1) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 8.

(2) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 8.

(3) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 8.

(4) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 8.

(5) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 8.

(6) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 8.

(7) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 9.

(8) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 9.

(9) انظر:

Kelly, Peter: Ovid and Plato: Disturbing Realities: Cambridge University Press, Cambridge, 2025, 20.

(10) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 9.

أن تكون صورة من صور هذا التفاعل المستمر، وهو ما يمكن التعبير عنه باستحالة الإغلاق التأويلي. بالإضافة إلى أن هذا التأويل ليس ممارسة اختيارية؛ لأنه لا وجود لنص بلا تأويل، وفعل القراءة فعلٌ تأويل، سواء كانت ممارسة واعية أو غير واعية. فإذا كان التحليل يتعامل مع خطاب "ينتج ليوجه إلى جمهور/قارئ لينفعل"،⁽¹⁾ فإن التأويل يتعامل مع خطاب موجه إلى "قارئ متفاعل".⁽²⁾ ومن ثم لا يعود التحليل المباشر كافياً، بل "لابد من تدخل النشاط التأويلي بوصفه عملاً يثري المعنى ويعمقه".⁽³⁾ وهذه الثنائية، أعني: التحليل البلاغي/التأويل البلاغي، تعمل على تحرير البلاغة من صورتها النمطية المرتبطة بالحجاج الصريح، وتفتح لها فضاءً جديداً هو فضاء الأدب والتخييل لتتمكن من "توسيع أراضيتها" بتعبير الحسين بنو هاشم في مقدمة ترجمته لكتاب "الإمبراطورية الخطابية"،⁽⁴⁾ لكنها تشترط تغيير طبيعتها: من أداة للتحليل إلى ممارسة للتأويل.

ثنائية الانفعال والتفاعل

في ظل التمييز السابق، يظهر تحول في موقع القارئ على أساس أنه شريك فاعل في بناء المعنى، وهذا التحول، حسب النص، يحدث بموجب "الميثاق التخيلي" إشارة إلى عقد التخييل بين النص الروائي والقارئ، وهو ما يتصل بفكرة أن الرواية خطاب أدبي يتطلب مشاركة نشطة من المخيلة القارئة لفهم الدلالات الممكنة؛ أي: ما يسمح للقارئ باستثمار الخيال والقيم والثقافة في عملية إنتاج الدلالة. والأدب بوصفه "قولاً تخيالياً" لا يسعى إلى إقناع القارئ أو توجيهه بشكل مباشر، بل يدعوه إلى التفاعل.

(1) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 9.

(2) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 9.

(3) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 9.

(4) بيرلمان، شايم: الإمبراطورية الخطابية: صناعة الخطابة والحجاج، ترجمة الحسين بنو هاشم، ط1: دار الكتاب الجديد

المتحدة، بيروت، 2022م، 5.

فالفرق، إذن، دقيق وحاسم: الجمهور "ينفعل" بينما القارئ "يتفاعل"؛ إذ إن الانفعال استجابة شبه آلية لتأثير مصمم ومعد سلفاً، أما التفاعل فهو نشاط واع، إبداعي، يشارك في تشكيل ما يقرأ؛ لهذا السبب يرى المؤلف أن أي تحليل "يعغل خيال القارئ وقيمه وثقافته" هو تحليل قاصر عن إدراك جوهر الأدب.⁽¹⁾ وعليه، فإن "التأويل البلاغي" هو المنهج الذي يأخذ دور القارئ على محمل الجد، ويجعل من "نشاطه التأويلي" مكوناً أساسياً في عملية إنتاج المعنى.

وإذا كان التفاعل يميز القارئ الأدبي عموماً، فإن المؤلف يذهب إلى تخصيص هذا التفاعل لتمييز قارئ الرواية خصوصاً، وهو ما يقود إلى الثنائية التالية.

ثنائية التأويل السردية والتأويل الروائي

يصر المؤلف على ضرورة "تلمس خصوصية النوع الروائي"⁽²⁾ داخل الأدب، بل "داخل دائرة السرد نفسها"⁽³⁾ والمقاربة المقترحة ليست "مقاربة للتأويل السردية، بل هي مقاربة للتأويل الروائي"⁽⁴⁾ على وجه الخصوص. هذا التخصيص يمنح للمشروع دقته العلمية، ويحميه من التعميمات التي قد تطمس فرادة الجنس الروائي؛ لأن تلمس مميزات هذا الجنس ضمن عملية التأويل البلاغي ومراعاة عناصر السرد الروائي أثناء البحث عن الدلالة التأثيرية في النص، هو ما يبني صرح التكامل المنهجي بين الأدوات البلاغية العامة والخصوصية النوعية للرواية، وهذا يدل على متانة البناء المنهجي المقترح وانطلاقه من وعي نقدي ثاقب بالفروق بين أنواع الخطاب ووظائفها.

(1) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 9.

(2) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 9.

(3) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 9.

(4) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 9.

ثنائية الاستحواذ والحجاج المضمر

ينتقل المؤلف بعد أن يؤسس لمنهجه التأويلي إلى تحديد طبيعة "الدلالة التأثيرية" في الرواية نفسها، فيميز تمييزاً نوعياً بين نمطين تأثيريين متكاملين تمارسهما النصوص الروائية على القارئ. وهذه الثنائية في حقيقة أمرها متوالية تأثيرية، حيث يمهّد الأول للثاني ويجعل اشتغاله ممكناً؛ وبالتالي فهي ثنائية غير ضدية، مما يؤكد مجدداً أننا أمام تقابلات منتجة وديناميكية وليست جامدة.

1- الأول هو تأثير الإدهاش والإمتاع

وهو ما أسماه المؤلف: "تأثير الاستحواذ"⁽¹⁾ محيلاً على المنظر الغربي البارز "واين بوث". هذا التأثير يتبع "سحر القارئ"، واستدرجه الممتد نحو الانغماس في عالم السرد التخيلي المفارق للواقع.⁽²⁾ وهذا التأثير هو شرط القراءة الروائية الأول، لأنه هو الذي يفصل القارئ عن عالمه الواقعي ويجذبه إلى داخل العالم المتخيل، مما يرفع من فاعلية الحجاج المضمر من خلال إضعاف دفاعات القارئ حين يقع تحت سحر الرواية وينغمس في عالمها.⁽³⁾

(1) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 10.

(2) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 10.

(3) يعجز الشيء الطبيعي المفتقر للتشكيل الفني (أو الحدث الخام) - بمفرده - عن توجيه مشاعر القارئ واستدرجه للعالم المتخيل، ولضمان هذا التفاعل، لا يملك المؤلف خياراً في استخدام البلاغة من عدمها، بل ينحصر خياره الوحيد في نوع البلاغة التي سيستخدمها للتأثير.

انظر:

Booth, Wayne C.: The Rhetoric of Fiction, 2nd ed.: University of Chicago Press, Chicago, 1983, 116.

2- الثاني هو تأثير ذو "طبيعة شبه حجاجية".⁽¹⁾

فبحكم انتماء الرواية إلى عالم الثقافة فإنها لا يمكن أن تكون مجرد لعبة تخيلية بريئة، إنها "مؤدية، بطريقتها الخاصة، إلى إنتاج أو إعادة إنتاج مواقف أخلاقية وإيديولوجية"⁽²⁾؛ لأن "السرد الروائي يمكنه أن يفرز بلاغة شبه حجاجية"⁽³⁾، ولأنه في النهاية فعل تواصلية له غرض محدد، هذا الحجاج ليس مباشرا ولا صريحا كما في الخطابة، بل هو مضمّر، يعمل من خلال الشخصيات والأحداث والصور، ويترك للقارئ مهمة استخلاصه وتأويله، فيكون "الغرض من السرد هو التأثير في المخاطب لتعديل فكره أو تغيير سلوكه اعتمادا على التخييل السردية"⁽⁴⁾.

بهذا التمييز يوفق المؤلف بين البعد الجمالي التخيلي للرواية (الاستحواذ) وبعدها البلاغي (الحجاج المضمّر) ويجعل من التأويل البلاغي الأداة القادرة على تناول ومقارنة هذين البعدين معا، دون التضحية بأحدهما لصالح الآخر.⁽⁵⁾

(1) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 10.

(2) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 10.

(3) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 10.

ويتقاطع هذا الطرح بشكل وثيق مع ما يقرره واين بوث حين يؤكد حتمية تمرير الأنساق القيمة في السرد الروائي؛ إذ يرى أن "أي قصة ستكون عصبية على الفهم ما لم تتضمن، مهما بلغت درجة الخفاء، قدرا من التوجيه الضروري، لا لنجعل أنفسنا واعين بنسق القيم الذي يمنحها معناها فحسب، بل الأهم من ذلك، لكي يجعلنا مستعدين لقبول ذلك النسق القيمي، ولو بشكل مؤقت".

Booth, The Rhetoric of Fiction, 112.

(4) الغرافي، بلاغة المثال، 81.

(5) يغير مشبال في قراءته النقدية تحفظا منهجيا مشروعا حين يدعو إلى ضرورة التمييز الصارم بين التأثير البلاغي والتأثير الجمالي حماية لهوية البلاغة من التماهي مع نظريات القراءة.

انظر: مشبال، عن حدود البلاغة مرة أخرى، 120.

غير أن التأمل الموضوعي في طبيعة الثنائية (الاستحواذ/الحجاج المضمّر) يبين أن الإطار المفهومي للطويل لا يخلط بين هذين التأثيرين، بل يتفق مع مبدأ تفاعل القارئ في إنتاج الأثر الجمالي. وتكمن أصالة المقاربة في إدراكها أن الرواية تجعل هذين التأثيرين يعملان بشكل متراكب؛ فهي أولا تمارس "تأثيرا جماليا" (الاستحواذ) يسحر القارئ المتفاعل،

إشكال مفترض وجوابه

يتضح مما سبق أن مما يكسب هذه المقدمة قوتها هو إحكام الشبكة المفهومية، وإلى جانب ذلك، تستمد المقدمة قوتها من البعد التداولي؛ إذ لا يمكن فهمها بمعزل عن قارئها المفترض الذي تتشكل ملامحه عبر ثنايا النص، إنها تتبعد عن المونولوج لتؤسس حواراً استباقياً مع قارئ واع ومتقف، لتشتبك معرفياً ونقدياً مع مرجعيات عربية وغربية.

واستباقاً لاعتراضات هذا القارئ، نجد المؤلف نفسه يجيب عن اعتراض مفترض: إذا كان التأويل البلاغي مرهوناً بـ"نشاط القارئ ومخيلته"، ألا يفتح ذلك الباب على مصراعيه أمام الذاتية المفرطة والفوضى التأويلية، حيث يصير كل فهم ممكناً وكل قراءة مقبولة؟ أين حدود التأويل وضوابطه العلمية؟

وهذا اعتراض دقيق ووجيه إلا أن المقدمة تطرح آلية تفنيده، بل عنوان الكتاب نفسه يعمل على تفنيد هذا الاعتراض من خلال ربط التأويل بالبلاغة؛ لأن هذا الربط يغلق الباب أمام التأويلات الحرة والانطباعية، أو ما أسماه تيري إيجلتون: "الثرثرة الانطباعية"⁽¹⁾. لذلك نجد المؤلف يصرح: "ولما كان التأويل ملزماً بالبحث عن مكان له ضمن محددات العلم، لكي يتبعد عن كونه ممارسة عفوية، نقترح في هذا الكتاب ربطه بالبلاغة"⁽²⁾، فهذه هي الضابطة المنهجية التي تجعل المتناول ملزماً بتسوية قراءته متوسلاً بـ"إمكانات البلاغة ومقولاتها وتصوراتها"⁽³⁾؛ فالمؤلف يسعى لأن يجعل التأويل أقرب إلى العلم المنهجي منه إلى القراءة الانطباعية الحرة.

لتمرر من خلاله "تأثيراً بلاغياً" (الحجاج المضمّر) يستهدف تعديل الرؤى والقيم. وبذلك، فالمقاربة تتبكر "تأويلاً" بلاغياً يواكب قدرة الرواية على صهر الإمتاع الجمالي بالإقناع البلاغي.

(1) Eagleton, Terry: Critical Revolutionaries: Five Critics Who Changed the Way We Read: Yale University Press, New Haven, 2022, 3.

(2) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 9.

(3) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 9.

إشكالات الفصل النظري

لا يفوتنا أن نشير إلى أن المؤلف في نهاية المقدمة لم يترك القارئ دون إرشاد لما ينتظره من مباحث، بل أرشده بالإشارة، بإيجاز، إلى الهيكل العام للكتاب: فصل نظري أول عنون له بـ: "استشكال التأويل البلاغي للرواية"، ويضم هذا الفصل ثلاثة محاور متدرجة: "في تأويل الأدب"، ثم "في تأويل الرواية"، ثم "في خصوصية التأويل البلاغي للرواية". استهل المؤلف معالجته للعنصر الأول (في تأويل الأدب) بتأطير الرواية ضمن انتسابها الأعم للخطاب الأدبي، لي طرح إشكالا جوهريا عمّا يميز "التواصل الأدبي" عن "التواصل الطبيعي".⁽¹⁾ ويؤكد الطويل، استنادا إلى مرجعيات نقدية متنوعة، أن لغة الأدب تنأى عن التمثيل المباشر للواقع، من خلال توارى الوظيفة المرجعية المباشرة لصالح اشتغال النص وفق بنية لغوية - رمزية إبحائية؛ لأن الأديب يؤول الواقع ولا ينقله أو يمثله حرفيا. ويفرض هذا الانتقال من الإدراك المرجعي إلى التخيل الرمزي، على المتلقي، الدخول ضمن الميثاق التخيلي. وعمد المؤلف، لإثبات تجذر هذا الوعي بفراة الأدب حتى في التراث النقدي العربي القديم، إلى استحضار مقولة الأصمعي الشهيرة في الشعر الذي يؤكد من خلالها رفضه إدخال "الجد الصريح" إلى الشعر، لينتصر لضرورة النظر إلى الأدب انطلاقا من منطق الخاص المبني على الإمتاع والإطراب.⁽²⁾

ثم انتقل المؤلف في محور "في تأويل الرواية" للتأكيد على ضرورة الوعي بمقولة "نوع الخطاب" لتجنب التعميمات التي تغفل طبيعة النص الجمالية؛ لأن الرواية (حسب الطويل) تعتمد على "التخيل السردى"، لتفارق بذلك لغة السرد التاريخي الإخباري، وبالتالي تنهض بلغة تصويرية بليغة تحدث توازنا دقيقا بين الحدث والشخصية والزمان والمكان. ويستثمر المؤلف طروحات ميخائيل باختين وميلان كونديرا ليرز الغنى النوعي لهذا

(1) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 15.

(2) انظر: الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 15-26.

الخطاب، وليؤكد أن الرواية فضاء للتعددية الحوارية وأداةٌ سيرٍ لتعقيد الحياة الإنسانية، وهو ما يفتح آفاقا رحبة للتأويل تشمل: "تأويل العلاقات" الاجتماعية والفكرية، و"تأويل التحول" الحضاري والنفسي، و"تأويل الدعاية" كما في الرواية الأطروحة⁽¹⁾. أما المحور الثالث (في خصوصية التأويل البلاغي للرواية)، فعالج فيه المؤلف الإشكالات الدقيقة لتطبيق البلاغة على الجنس الروائي، منتقدا المقاربات الأسلوبية التقليدية التي تكثفي بإسقاط الأساليب البلاغية على الرواية بطريقة تجزئية⁽²⁾. ويرى الطويل أن فزادة الرواية تقتضي تجاوز التحليل الوصفي السطحي، والبحث بدلا من ذلك عن الأبعاد العميقة التي تتطلب تأويلا متكاملا⁽³⁾.

يتضح جليا أن الفصل النظري بكتلته المترابطة، قد تصدى لأبرز إشكالات التأويل البلاغي للرواية، حيث دافع الطويل عن ضرورة تجاوز البلاغة التقليدية والمقاربات الأسلوبية التقليدية؛ لأن الصور البلاغية المعروفة بُنيت أساسا بالتفاعل مع الشعر، ولا يستقيم النظر إلى الرواية من خلالها⁽⁴⁾. وقد أكد الطويل، أيضا، أن ما يجعل الرواية بليغة هو نحوها

(1) انظر: الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 26-36.

(2) يطرح مشبال في قراءته النقدية شرطا منهجيا يتمثل في ضرورة محافظة البلاغة على هويتها عند نقلها إلى حقل الأدب التخيلي. انظر: مشبال، عن حدود البلاغة مرة أخرى، 120. غير أن المنظور الاستمولوجي لانتقال المفاهيم يؤكد أن أي مفهوم يغادر حقله الأصلي إلى حقل معرني جديد، يفقد بالضرورة -أو يعدل- بعض خصائصه ويكتسب أخرى جديدة تلائم طبيعة الحقل الجديد عن طريق التبيئة المفهومية. وفي حال ما تم ذلك عبر نقل حربي دون تطويع؛ فإنه لا يعدو أن يصير "إسقاطا تعسفيا". ولعل هذا الوعي الاستمولوجي هو ما يفسر موقف الطويل؛ فهو حين يرفض "الإسقاط التجزيئي" للأساليب البلاغية على الرواية، يمارس تبيئة منهجية مشروعة تفرضها الخصائص النوعية للجنس الروائي، مما يجعل تحوير بعض الخصائص يصب في الحفاظ على "هوية البلاغة من المسح".

(3) انظر: الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 36-51.

(4) انظر: الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 43.

بلغة تصويرية بليغة تُبنى من خلال تفاعل مكونات الرواية بمعناها الواسع (تحييك الحدث، سمات الشخصيات، تأنيث الفضاء، أسلبة الحوار) بغية تحقيق التأثير الجمالي المنشود.⁽¹⁾ وتتويجا لهذا البناء النظري، خصص الطويل ثلاثة فصول تطبيقية لتحليل أعمال روائية معاصرة، حيث قارب "تأويل المحكي الشعبي الخارق" في رواية "عائشة القديسة" لمصطفى لغتيري، و"تأويل المفارقة" في رواية "مخالب المتعة" لفاحة مرشيد، و"تأويل الهوية القلقة" في رواية "نوميديا" لطارق بكارى.

فيتضح، إذن، أن الإطار النظري الذي يقدمه الطويل مصمم ليكون أداة إجرائية للتناول البلاغي للنصوص الروائية.

خاتمة القول

تتنظم مفاهيم المقدمة، كما كشفنا عبر الاستنباط البنيوي، في مجموعة من الثنائيات المصطلحية التي، وإن لم تكن مفاهيمها جديدة، فإن طريقة ربطها وتوظيفها في سياق العلاقة بين البلاغة والرواية تمنحها طابعا تجديديا في حقل الدراسات البلاغية العربية المعاصرة. فصحيح مثلا أن أثر "تغريب القول وتمنيع الدلالة في الأدب"⁽²⁾ مألوف في نظريات الأدب، لكن توظيفها هنا في سياق بلاغي تأويلي يمنحها بعدا مختلفا، وهذا ما يقود إلى القول بأن المؤلف عرضها بصورة تبدو تجديدية، والمؤلف يدرك تماما أنه يسلك "زاوية قد تكون جديدة في سياق الدراسات العربية المعاصرة".⁽³⁾

والبلاغة بإمكانها أن تتناول الرواية لكن مقابل تخليها عن يقينها التحليلي، واعتمادها الاحتمالية التأويلية، وهذا يعيد لها اعتبارها بكونها خطابا ينتج بلاغته النوعية الخاصة، وهي ما تسعى المقدمة لتوطئته بإبراز معالم هذا المقاربة التي يتناولها المؤلف في كتابه.

(1) انظر: الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 50.

(2) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 8.

(3) الطويل، التأويل البلاغي للرواية، 7.

توصيات بحثية

- بحكم اقتصار الدراسة على تحليل المقدمة، مع وصف للفصل النظري، فإن التوصيات البحثية التي تقدمها تمثل الخطوة الطبيعية التالية، فاتحاً بذلك لأفق بحثي لاحق:
- دراسة نقدية تفحص مدى نجاح المؤلف في تطبيق مقارنته النظرية في التأويل البلاغي على المتن الروائي الذي قام بتأويله.
 - رصد درجة الاتساق بين الجهاز المفهومي المعلن والمنجز التطبيقي المتحقق في الفصول التطبيقية.
 - رصد مدى قدرة هذه المقاربة على الحفاظ على توازنها في التطبيق دون أن تنزلق إلى إعادة إنتاج التحليل في ثوب تأويلي.

المصادر والمراجع

- بيرلمان، شاييم: الإمبراطورية الخطائية: صناعة الخطابة والحجاج، ترجمة الحسين بنو هاشم، ط1: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2022م.
- الطويل، حسن: التأويل البلاغي للرواية: إشكالات وتطبيقات، ط1: دار كنوز المعرفة، عمان، 2025م.
- الغرافي، مصطفى: بلاغة المثال: السرد المثلي بين التخييل والحجاج، أشغال الندوة العلمية: البلاغي بين الإنتاج والتلقي: جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس - كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز، فاس، 2019م، 81-101.
- مشبال، محمد: عن حدود البلاغة مرة أخرى: حوار مع كتاب التأويل البلاغي للرواية: إشكالات وتطبيقات (1)، مجلة الثقافة الجديدة، 427، مارس 2026م، 120.
- المهيري، عبد القادر: البلاغة العامة، حوليات الجامعة التونسية، 8، 1971م، 207-221.

References

- Perelman, Chaïm. *The Rhetorical Empire: The Making of Rhetoric and Argumentation (al-Imbirātūriyya al-Khiṭābiyya)*. Translated by al-Ḥusayn Banū Hāshim. 1st ed. Beirut: Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥida, 2022.
- al-Ṭawīl, Hasan. *al-Ta'wīl al-Balāghī lil-Riwāya: Ishkālāt wa Taṭbīqāt (Rhetorical Interpretation of the Novel: Issues and Applications)*. 1st ed. Amman: Dār Kunūz al-Ma'rifa, 2025.
- al-Gharāfi, Muṣṭafā. "Balāghat al-Mithāl: al-Sard al-Mithālī bayna al-Takhyīl wa al-Hijāj (The Rhetoric of Example: Narrative between Imagination and Argumentation)." In *Proceedings of the Scientific Conference: al-Balāghī bayna al-Intāj wa al-Talaqqī*, Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fez, 2019, 81–101.
- Mishbāl, Muḥammad. "an Ḥudūd al-Balāgha Marra Ukhra: Ḥiwār ma' Kitāb 'al-Ta'wīl al-Balāghī lil-Riwāya' (On the Limits of Rhetoric Again)." *Majallat al-Thaqāfa al-Jadīda*, no. 427 (March 2026): 120.
- al-Muhīrī, 'Abd al-Qādir. "al-Balāgha al-'Āmma (General Rhetoric)." *Annals of the Tunisian University*, no. 8 (1971): 207–221.
- Booth, Wayne C. *The Rhetoric of Fiction*. 2nd ed. Chicago: University of Chicago Press, 1983.
- Eagleton, Terry. *Critical Revolutionaries: Five Critics Who Changed the Way We Read*. New Haven: Yale University Press, 2022.
- Groupe μ. *Rhétorique générale (General Rhetoric)*. 2nd ed. Paris: Éditions du Seuil, 1982.
- Kelly, Peter. *Ovid and Plato: Disturbing Realities*. Cambridge: Cambridge University Press, 2025.